

الثورة الجزائرية بين التنظير العقلي والتفعيل العملي في فلسفة "جون بول سارتر"

The Algerian revolution between mental Theory and Practical Activation in Jean-Paul Sartre's Philosophy

مخبر الدراسات والأبحاث الفلسفية جامعة سيدي بلعباس – (الجزائر)	فلسفة غربية حديثة ومعاصرة	* Khadidja SAIDI خديجة سعيدي Khadidja.saidi@univ-sba.dz
مخبر الدراسات والأبحاث الفلسفية جامعة سيدي بلعباس – (الجزائر)	فلسفة	زين العابدين مغربي Zine El Abidine MEGHARBI logiquezino@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/12/15

تاريخ الإرسال: 2024/03/12

ملخص:

تميزت الثورة الجزائرية بقوة كفاحها وشرعية قضيتها التي استمدتها من نزاهة مبادئها ومصداقية غاياتها، لتصل، بذلك، إلى العالمية وتكسب دعم ومساندة العديد من المثقفين الفرنسيين الذين يؤمنون بالحرية والالتزام والعدالة والديمقراطية، ومن أبرز المثقفين، نجد موقف الفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر الذي التزم بمبادئه وتعاطفه مع القضية الجزائرية، والدفاع عنها في المحافل الدولية والوقوف ضد سياسة بلاده، فرنسا. ومن المعروف عن سارتر، أنه مفكر عملي ومؤطر استراتيجي للثورة الجزائرية، والذي يظهر جلياً في دعمه ومساندته لجهة التحرير الوطني، ولحركتها الثورية، على الرغم، من المشاكل التي واجهت مساره الفكري، إلا أنه ظل مقتنعاً، بأن المثقف، باختلاف توجهاته، هو صوت الأمة، ولسان حقيقتها الذي يدافع عن الشعوب المستضعفة.

الكلمات المفتاحية: التنظير العقلي؛ التفعيل العملي؛ الالتزام؛ الثورة الجزائرية؛ سارتر.

Abstract:

The Algerian Revolution was characterized by the strength of its struggle and the legitimacy of its cause, which stemmed from the integrity of its principles and the credibility of its goals. This allowed it to gain international recognition and support from many French intellectuals who believe in freedom, commitment, justice, and democracy. Among the prominent

* المؤلف المراسل: Khadidja.saidi@univ-sba.dz

intellectuals is the French philosopher Jean-Paul Sartre, who committed himself to the principles of the Algerian cause, defending it in international forums and opposing the policies of his country, France. Sartre is known as a practical thinker and a strategic supporter of the Algerian revolution, which is evident in his support for the National Liberation Front and its revolutionary movement. Despite the challenges he faced in his intellectual journey, he remained convinced that the intellectual, regardless of their orientation, is the voice of the nation and the true advocate for oppressed peoples.

Keywords: Intellectual theorizing; practical activation; engagement; Algerian Revolution; Sartre

1. مقدمة:

تأسست فلسفة الثورة على إستراتيجية وقناعة فكرية للإنسان الثوري الذي حاول تحطيم أسطورة الحصار المستعمر والمستبد والاستخفاف بالثورة وبكفاحها، ولم تكن هذه القناعة حاضرة إلا من خلال استلهم مفاهيم ثورية وقيم نضالية وممارسات واقعية ومبادئ فلسفية، مُستقطبةً بذلك، المجتمع برمته، ليس من باب التعاطف، وإنما، من باب ممارسة عملية فكرية نشأت من رحم شعب رفض المستعمر، وأجهض تنبؤاته بنهاية الثورة، ملغياً المقاومات والانتفاضات، ومدافعاً عن قناعاته وتوجهاته وإيديولوجيته، وهنا، اخترق الفكر الثوري الشعبي لكل التوقعات الاستعمارية المزيفة، واستقطب العديد من المفكرين والمثقفين الفرنسيين الذين التزموا بموقفهم وتعاطفهم مع القضية الجزائرية، ودافعوا عن المستضعفين في العالم، باسم أحقيتهم في العيش بحرية واستقلال، ولعل أبرزهم، الفيلسوف الوجودي "جون بول سارتر" الذي رفض العنف والجرائم اللذين لحقا بالشعب الجزائري، فهل استطاع "جون بول سارتر" أن يترجم ويدافع عن الثورة الجزائرية المجيدة من خلال قراءاته الفكرية؟.

2. موقف النخبة المثقفة الفرنسية من الثورة:

برز دور النخبة المثقفة الفرنسية على اختلاف توجهاتها وانتماءاتها الأيديولوجية وتكوينها السياسي في تأسيس رؤية فكرية تخدم الثورة الجزائرية وتؤيد قراراتها، وعملت على مساندة جبهة التحرير الوطني سياسياً وإعلامياً وحتى عسكرياً، "حيث رفعت مواقفهم الشجاعة شأنهم وجذبت إليهم أنظار المجتمع الفرنسي نخبة وجماهير" (مقلاتي، 2010)، هذا ما جعل النخب الفرنسية المثقفة تساند الشعب الجزائري على القيم التي نادى بها،

وعبرت "سواء بالتصريح أو التلميح عن رفضها لتلك الممارسات القمعية للاستعمار الفرنسي في حق الشعب الجزائري من تعذيب وتقتيل وتشريد، ولم يكن الأمر هينا من قبل السلطات الفرنسية حيث عرضت هؤلاء المثقفين للمضايقات العديدة بسبب مواقفهم مثل أودان* Audin ماندوز** Mandouze، لافاليت*** Lavalett (بتقة، 2015)، ولم يتوقف عند هؤلاء المثقفين، بل هناك طبقة من الفرنسيين من اتخذت موقفا معارضا حياديا إزاء "السياسة العنصرية لفرنسا بأن فروا من ثكناتهم بالأسلحة والأمتعة معبرين بذلك عن معارضتهم لفرنسا مثل ضابط الصف مايو Maillot****، كما نجد نموذج رينيه فوتييه René Vautier***** الذي فضل العيش في جبال الأوراس من أجل تصوير كفاح الشعب الجزائري ليقدم شهادات حية عن ذلك النضال بواسطة كاميراته" (بتقة، 2015)، وفضح سياسة التعسف والاستبداد التي فرضتها الحكومة الفرنسية على الشعب الجزائري، الأمر الذي استدعى إلى ظهور مثقفين غيره ينادون بفلسفة الحرية وينطقون شعارا لا للحرب، والإعلان عن الثورة، ثائرين على ظلم بلدهم من طرف البلد الآخر، مساندين بذلك جبهة التحرير الوطني ودفاعها عن الوطن وتصديها وتنديدها "بشدة من جديد بوحشية القوات العسكرية الفرنسية وعاتهم الرأي العام الفرنسي على سياسة السكوت والصمت على هذه الأعمال الإجرامية والإنسانية والأخلاقية واللاحضارية" (المجيد، د.ت، ص 97).

* مورييس أودان:، شغل منصب أستاذ الرياضيات مساعد بجامعة الجزائر، عضو الحزب الشيوعي الفرنسي، مناضل مناضل للاستعمار عذب وقتل من طرف المصالح الفرنسية (الشريف، 2010، ص 126)،

** - أندري مندوز (1916-2006) (مؤرخ وكاتب من أنصار القضية الجزائرية في مجلة "الوعي المغاربي" (بزيان، 2002، ص، ص 120-121).

*** - إيفلين سفير، لافاليت: (1878-2014) شغلت عضو فاعلا في الحركة الاجتماعية (AJAAS)، مناضلة مناضلة للاستعمار، عذبت من طرف المصالح الفرنسية (مصطفى، 2014)

**** - هنري مايو: (1928-1956) مناضل مناضل للاستعمار وصديق لثورة التحرير الجزائرية من أصول أوروبية، اشهر بعد تحويله شاحنة محملة بالأسلحة لصالح المجاهدين (شعبان، ص 138)

***** - روني فوتيه: (1928-2015) سينائي، فرنسي، مناضل مناضل للاستعمار، التحق بمعقل المجاهدين الجزائريين في الأوراس والحدود التونسية، رخص له بتصوير جيش التحرير الوطني وأنتج فيلم الجزائر تلتهم (مزيان)

أثر "فرانز فانون Frantz Fanon" * على فكر النخبة المثقفة الفرنسية كونه يدعم القضايا التحررية والوقوف مع الشعوب المضطهدة، ويعتبر كتابه "معذبو الأرض" الصادر عام 1961 بفرنسا، أهم الكتب التي دافعت عن حقوق الإنسان والحرية والعدالة والديموقراطية، كما ساهم فانون في هذا الكتاب إلى تقديم تحليلاً نقدياً للاستعمار ويدعو من خلاله إلى المقاومة المسلحة ضد القوى الاستعمارية.

أكد فانون مقولة: "أن الثورة الجزائرية في عمقها وحقيقتها هي التي تحول الإنسان وتجدد المجتمع وهي متطورة جدا، وهي كالأكسجين الذي يبدع وينظم الأفراد إنها الثورة الجزائرية" (عمراني، د.ط، د.س، ص 70)، وبالتالي فإن سياسة "فانون" جعلت الكثير من المثقفين الفرنسيين ومن بينهم "سارتر" * الذي أقر بفكرة الالتزام والحرية والمسؤولية وإباحة العنف، وساعد الكثير من المناضلين الجزائريين على شن الحرب بروح عصامية لا تخاف التراجع ولا الضغوطات التي تفرضها السياسية الفرنسية.

3- الثورة الجزائرية بين التنظير العقلي والتفعيل العملي في فلسفة جون بول سارتر:

وجد "سارتر" نفسه في موقف أقل ما يقال عنه أنه معقد بالتزامه أمام وطنه الأم من ناحية، ومدافعا على مبدأ الحرية التي هي شرط إمكان الوجود الإنساني من ناحية أخرى، لكنه اختار مع ذلك التصادم الفكري وصحّ بقوله: " أنظر إلى موقعي اتجاه الثورة الجزائرية. ..وهي الفترة التي تخلت فيها عن الحزب الشيوعي لأن مطالب الحزب ومطالب لم تكن واحدة، فالحزب يرى استقلال الجزائر بطريقة خاصة وغامضة بينما نحن متفقون

* - فرانز فانون: وهو مثقف مناهض للاستعمار من جزر المارتينيك ولد في مدينة فوردني فرانس من أسرة تتألف من ثمانية أولاد وبنات، وقد جاء ميلاد فانون لموقف عمي وجو الرجل الأبيض الذي ولد في جزر الأنتيل بالمارتينكا الفرنسية، لو عدة مؤلفات منها بشرة سوداء وأقنعة بيضاء (حيفري، 2007، ص، ص 15- 32)

** الروايات: الغثيان سنة، 1938 - جون بول سارتر: (1905م _ 1980م) فيلسوف وأديب فرنسي، وجودي من أهم مؤلفاته: العميق في م، سن الرشد وهي الجزء الأول من الرواية الثلاثية دروب الحرية، الحزن 1939 الجدار ظهرت بعنوان قصص سارتر القصيرة مسرحية الأيدي القذرة في 1948م، الكتب: المسرحيات: فنجذ الزباب في 1944م، مسرحية موق بلا قبور في 1946م، 1948م م، الوجودية نزعة إنسانية (...) أنظر محمود، يعقوبي، معجم الفلاسفة، 1943 الوجود والعدم (دراسة في الأنطولوجية الفينومولوجية) في الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1998، ص 213 - عمراني، عبد المجيد، جون بول سارتر والثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 9.¹

مع جبهة التحرير الوطني لتحقيق الاستقلال في المستقبل القريب" (عمراني، د.ط، د.س، ص 09)، إذ أن فلسفة "سارتر" مبنية على مبادئ عنوانها الالتزام وأفكارها مقننة بالحرية والعدالة والديمقراطية.

اهتم "سارتر" في فلسفته الثورية بالوعي conscience حيث يعتقد أن الثورة لا يمكن أن تنطلق دون وعي يسبقها ويصرح في إحدى مقالاته مواقف situations بأن كتاب " الوجود والعدم" l'être et le néant يوضح لنا مختلف أشكال التعذيب والقهر التي يتعرض لها الإنسان، ومن خلال هذه الشهادة التي يدلي بها سارتر نجده يحاول إبراز فكرة الانتصار victoire أعني انتصار الإنسانية على اللاإنسانية victoire l'humain sur l'inhumain لأن الإنسان يستطيع بكل حرية أن يواجه العراقيين التي يصادفها في حياته اليومية " (فريدة، 1998، ص، ص 09، 10)، فهذه "سارتر" تقويض حقيقة الأمور وممارستها بواسطة العنف المشروع وإحداث انقلاب على الأوضاع التي فرضتها الطبيعة البشرية باستعمالها قانون الغاب ومسايرة القوانين التي تقدمها الشعوب المستبدة على الشعوب المستضعفة، لذا من باب العدالة استرجاع الأمور إلى نطاقها السليم وإحداث ثورة لتغيير العالم المرير، فالثوري يناضل ويكافح ويضحي بكل ما لديه من أجل تحقيق أمله الذي يتمثل في انتصار هذه الثورة وانتصاره على مضطهديه "ويدفع إلى الفعل الحر إلى أقصى درجات الحرية وحرية ليست حرية فوضوية فردية ولو كانت كذلك لصار مطلب ثوري وحقوق، ومادام الثوري إنسانا يقوم بعمل إنساني، فإذا كان النشاط الإنساني كله نشاطا قادرا على الانسلاخ من الحاضر والاندفاع إلى الأمام" (سارتر، 1966، ص 35)، والذي يؤدي إلى تغيير الأفكار من قالب العبودية والماضي المشحون بالقهر والضعف إلى قالب المستقبل، الحرية والقوة، وانتصار العدالة.

وهذا ما أكدته جريدة "فيريتي بور" سنة 1959م عند انضمام "سارتر" إليها، ونشرت محتوى اللقاء الذي أجراه "فرانسيس جونسون Francis Jeanson" مع "سارتر"، حيث استعرض تحليله للوضع ووجهه اليسار الفرنسي نقدا لاذعا عندما صرح قائلا: "... الأمر المهم بالنسبة إلينا هو أن جبهة التحرير الوطني عازمة على بناء جزائر مستقلة وفق مبادئ الديمقراطية الاجتماعية... وإذا كانت الوطنية الجزائرية تثير مشاعر الذعر لدى بعض

* - فرانسيس جونسون كاتب ومفكر فرنسي وأستاذ الفلسفة، هاجر خلال الحرب العالمية الثانية إلى إسبانيا لتجنباً لوحشية الحرب وهجيتها، وهناك انضم إلى "الجبهة الشعبية" مثلما فعل بعض المثقفين الفرنسيين (مصطفى، 2013)

رموز اليسار، فالأحرى أن ترى في تلك الوطنية انعكاسا لتجربتها وماضيتها، ليس معنى ذلك أننا أصبحنا من دعاة الفكر الشمولي بل بالعكس لأننا نتحرك بوحى من وطنيتنا، ولأن اليسار الفرنسي المناهض لامبريالية الكتل إنما يريد أن يبقى فرنسيا محضا، ومن هذا المنطلق راح اليسار يستسلم لأغراض الوطنية اليمينية وهذا دفع الحصول على رضا الفرنسيين وكأن اليساريين الفرنسيين يريدون الحصول على إجازة تثبت وطنيتهم" (1958, sartre)، وهكذا فقد قبل التزام "سارتر" بالثورة الجزائرية على معارضة كبيرة من بعض المثقفين الفرنسيين، خاصة أولئك الذين دعموا السياسة الاستعمارية الفرنسية. بحيث انتقد البعض سارتر لدعمه جبهة التحرير الوطني واتهموه بتبرير العنف الثوري أو تشجيعه.

أعرب سارتر عن دعمه للحركة الرئيسية التي تقود الثورة وندد بشدة السياسة الاستعمارية الفرنسية والعنف الذي يمارسه الجيش الفرنسي في الجزائر، وحاول بثورته الفكرية "استقطاب شخصيات ثقافية ودينية فرنسية، يمكنها أن تؤثر على الرأي العام الفرنسي بما يخدم أهداف الثورة الجزائرية..." (وآخرون، 2003، ص 123)، ويمكن رصد أهم الأفكار والمركزات التي شكلت فكر "سارتر" عن المقاومة من خلال رصد مفهومه عن الحرية والالتزام والمسؤولية واعتبر أن التطلع إلى الاستقلال حق مشروع للشعب الجزائري. صرح "سارتر" أيضا في مقاله المعنون "الاستعمار هو نظام" الصادر عن جريدة مجلة الأزمنة الحديثة "Les Temps Modernes" عام 1956 "أنه عندما يفقد شعب ما أرضه وتجارته وجيله الشاب ولا يبقى معه شيء يملكه سوى نفسه، فإنه لا يحتاج إلى الفردية والممتلكات الخاصة، بل على العكس من ذلك، يحتاج إلى الجماعية بدلا من الفردانية، وإلى العودة إلى جماعته التقليدية وحقهم الجماعي في تقرير المصير" (المصري، 2023)، فقد دون "سارتر" موقفه من القضية الجزائرية مصحرا شعار "الجزائر دولة مستقلة" مساندا بذلك جبهة التحرير الوطني، بوصفها الممثل الشرعي للشعب الجزائري، وفي الوقت نفسه فضح الأساليب القمعية للحكومة الفرنسية دولة وشعبا وجيشا، وقد قال في هذا الشأن: "نحن فرنسي المتروبول، الدرس الوحيد الذي نستنتجه من المعطيات السابقة أن الاستعمار في حالة تحطيم نفسه بنفسه... ودورنا هو مساعدة الاستعمار لكي ينتحر ليس فقط في الجزائر ولكن أينما كان أولئك الذين يفكرون في التخلي هم أغبياء، لا يمكن التخلي عن شيء لا نملكه أصلا. بل بالعكس يجب إنشاء علاقات جديدة مع الجزائريين بين

فرنسا حرة وجزائر متحررة" (Sartre, 1956, p. 1371)، هذا الأمر جعل من "سارتر" اللسان الذي نطق بالحقيقة وبرأ القضية الجزائرية من تهمة بلغ سجنها عقد واثنان وثلاثون سنة مليئة بالقهر والاستغلال والطغيان واحتلال أراضيها وأجبر حكومته باسترجاع الحقوق إلى أهلها ودعوة المناضلين الجزائريين إلى العنف وذلك تحت مقولة ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلى بالقوة.

كان "سارتر" مؤمنا بأن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الوحيد والشرعي للثورة الجزائرية، ومن ثم وضّح بضرورة التفاوض معها للوصول إلى الاستقلال وقد دعم رأيه أيضا من خلال مقال تحليلي نقلته لنا جريدة الأخبار المصرية في عدد الصادر يوم العاشر من شهر يناير عام واحد وستون وتسعمائة وألف، حيث رصدت الوجه العاكس للثورة الجزائرية بكل حيثياتها، وعن واقع الرأي العام الفرنسي من الحرب في الجزائر، فكتبت على لسان "سارتر" إن اليسار الفرنسي عاجز وسوف يبقى... عاجزا في حالة ما إذا لم يقبل أن يوحد مجهوداته مع القوة الوحيدة التي تقاوم اليوم حقيقة العدو المشترك للحريات الجزائرية والحريات الفرنسية... "يضيف قائلا"... وهذه القوة هي جبهة التحرير الوطني والفرنسيون الذين يساعدون جبهة التحرير الوطني لا يدفعهم إلى ذلك شعور نبيل نحو شعب مظلوم ولا يجعلون أنفسهم في خدمة قضية أجنبية فحسب، بل إنهم يعملون من أجل أنفسهم ومن أجل حريتهم ومن أجل مستقبلهم" (الجريدة الصادرة، 10-01-1961).

4- موقف جون بول سارتر من التعذيب:

فضّح "سارتر" ممارسات الاستعمار الفرنسي بكل جرأة مع أنه مفتخر بفرنسيته، ولكنه لا يملك إلا أن يلتزم بمبادئه في الدفاع عن قناعاته اتجاه الثورة الجزائرية في مؤلفاته الأدبية والفلسفية والسياسية، إذ كان موقف "سارتر" نابعا من إيمانه بالحرية الاجتماعية والسياسية الذي نادى بها قبل الحرب العالمية الثانية، وبعدها جاء مدافعا عن الثورة الجزائرية التي اعتبرها بمثابة الصرخة الكبيرة رافضا "سياسة بلدة ظالمة من كتابه الذي خطه بعنوان "عارنا في الجزائر" (منغور، 2012، ص 167)، حيث كان مضمونه يعكس السياسة الفرنسية والتعذيب الممارس ضد الشعب الجزائري فقد كتب مقولة صرّح فيها "فالجزائريون في عام 1958 أصبحوا يسامون سوء العذاب بشكل منتظم ومستمر والكل على علم لما يحدث من الكوست إلى مزارعي لا فيرون، ولا يستطيع أن يتكلم أو يخوض في مثل هذا..." (سارتر، د.ط، د.ت، ص 40)، لذا نرى "سارتر" محافظا على موقفه من خلال

الإصرار على حق الشعوب المستعمرة في تقرير المصير، ودافع عن ضرورة العنف الثوري كوسيلة للنضال ضد الاضطهاد الاستعماري العنيف والممنهج، ومنح الحرية والإرادة التي يعتمد عليها الثوري في الدفاع عن نفسه وإثبات وجوده في المجتمع وتحقيق مطالبه واختيار مصيره المجهول وممارسة حريته التي " لا تمارس عملها إلا على أساس حرية أصلية، وهذه الحرية هي وحدها التي تسمح لها بأن تقوم بوصفها إرادة، أي بوصفها تصميمًا مجددا بالنسبة إلى غايات معينة تختار أن تحققها عن تدير وبهذه الوسائل أو تلك، هي إذن لا تستطيع أن تمارس نشاطها إلا في إطار الغايات التي وضعها الإنسان فعلا" (جوليفيه، 1988، ص 169). ومنه فالشعوب المضطهدة التي أخذناها كمثال على ذلك والتي تعيش تحت حتميات مفروضة عليها، يجب أن تتكون لديها إرادة لتستعيد حريتها، ومع ذلك فهي "تصادف أو يبدو أنها تصادف حدودا، بسبب المعطى الذي تتجاوزه أو تعدمه، فإظهار أن معامل معاكسة في الشيء، وطابعه كعائق... هو ضروري لوجود الحرية، إنما هو استخدام لبرهان ذي حدين لأنه إذا أتاح لنا إثبات أن المعطى لا يلغي الحرية فإنه يدل من ناحية أخرى، على شيء ما من حيث إنه شرط أنطولوجي مفروض على الحرية، ألا يحق لنا القول، مثل بعض الفلاسفة المعاصرين: من دون عائق، لا وجود للحرية" (سارتر، 2009، ص 617)، ومع ذلك نجد هم "سارتر" الوحيد الدفاع عن حرية الفرد وتقرير مصيره، وهذا ما نلفيه غالبًا في التزامه بالثورة الجزائرية كمثال على دوره كمثقف منخرط في النضالات السياسية والاجتماعية في عصره، حيث كان لتأثيره ودعمه للقضية الجزائرية دورا فعّالا على الرأي العام الفرنسي وساعد في تغيير النقاش حول استعمار واستقلال الجزائر، وهذا ما أكدته "محمد حربى Mohammed Harbi" * في قوله " عرف سارتر "تجديدا أخلاقيا" أوصله إلى اكتشاف موضوع جديد للتاريخ وأكثر راديكالية من طبقة البروليتارية وهم المستعمر وقد استفادت الثورة الجزائرية أكثر من هذا الاكتشاف، فتحصّلت على دعم جهة ثقافية واسعة في فرنسا" (Harbi, octobre-décembre 1990, p 1034)، حيث لقت رواجًا واسعًا من أجل تنشيط حملتها وانتقالها من المحلية إلى العالمية وإسماع صوتها حتى

* - محمد حربي: من مواليد 16 جوان 1933 بمنطقة الحروش بولاية سكيكدة، درس تاريخ وجغرافيا الجزائر والعالم الإسلامي، انظم

. (26-7-2001) لحزب الشعب الجزائري، مثل احد كتاب الرئيسين لجهة التحرير الوطني في برنامج طرابلس

(Mohammed

في المنظمات التي تنادي بحقوق الإنسان واستقلال الشعوب، فلم تكن معركة "سارتر" مع كتابه فقط، بل معركة المثقف الملتزم التي تجسدت على كل الجبهات الفكرية والفلسفية والسياسية، فقد ساهم في عدة لقاءات من أجل السلم في الجزائر (في جوان 1960 وفي ديسمبر 1961 بروما) كما شارك في مظاهرة صامتة في أول نوفمبر 1961 المنددة بمجازر 17 أكتوبر إلى مظاهرة 13 فيفري 1962 محتجا على القمع الدموي في مترو "شارون"، كما أدلى بشهادته في جل محاكمات (حاملو الحقائق) والمعروفة بمحاكمة شبكة جونسون، يصرح "سارتر": "استعملوني كما تشاؤون ولقد أعلن سارتر أنه من حاملي الحقائق لجهة التحرير الوطني الجزائرية" (خطاب، 2013، ص 240). لم يكن "سارتر" الفيلسوف والمفكر صاحب القلم بل وصل لأبعد الحدود حينما صرح بأجمل وأشجع العبارات "الحرية للجزائريين"، مسلطا الضوء على الجرائم التي ارتكبتها الحكومة الفرنسية على الشعب الجزائري من تعذيب جسدي ونفسي، فيقول: "... فليس حسنا أن يكون موظف شرطة مضطرا لأن يعذب عشرة ساعات في اليوم، فإن ذلك سيؤدي بأعصابه إلى الانفجار، إلا إذا منع الجلادون لمصلحتهم الخاصة من أن يعملوا ساعات إضافية، فحين يراود حماية معنويات الأمة والجيش بصرامة القوانين، فليس حسنا أن يحطم الجيش معنويات الأمة، ولا أن يضع بلد جمهورية التقاليد مئات الألوف من شبانه بين أيدي ضباط انقلابيين مغامرين..." (سارتر ج.، 1962، ص 53-52)، هذا ما دفع بـ"سارتر" إلى انتقاد حكومته في معالجة قضية الجزائر موجهها مختلف الخطابات السياسية للسلطات الفرنسية، مشنا الحرب عليها بقلمه ورؤيته الفكرية، غاضبا من مآربها واستثمار أغراضها الاقتصادية والسياسية في بلد ظلّا منها أنه من خصوصياتها وأملاكها.

طرح "هنري علاق Henri Alleg" * في كتاب "القضية" la question مسألة التعذيب، فيصف الضحية التي تتعرض للتعذيب وتستطيع المقاومة بشجاعة وصبر بأنها منتصرة في النهاية لأنها لم تمكن الجلاد من غرضه وهدفه من التعذيب والاعتراف " (عمراني، د.ط، د.س، 90)، هذه الملحمة الفكرية والفلسفية تعبر عن النصر الحقيقي للشعب الجزائري وتندد بفضح أساليب الاستعمار.

* - هنري علاق (1921-2013م)، واسمه الحقيقي Harry Salem، مناضل في الحزب الشيوعي الجزائري اشتغل صحفيا ثم مديرا لجريدة Alger Républicain بين سنوات 1950-1955م، تعرض للاعتقال في شهر جوان 1957م، صاحب كتاب المسألة La Question، الصادر في شهر فيفري 1958. (لوصيف، 2015 ص 157).

تأثر "سارتر" بفكر "هنري علاق" ومسأله حول التعذيب بقوله: "ليس التعذيب مدنيا أو عسكريا إنه وباء يكتسح العصر كله... ولكنه يطبق بانتظام خلف ستار مشروعية الديمقراطية (سارتر، 1975، ص، ص 10، 19)، ما جعله يعبر بضمير والتزام عن الجرائم التي كانت تمارس في حق الشعب الجزائري رغم ما تدعيه الحكومة الفرنسية من إتباعها لأسلوب مسالم تحت رعاية منظمة حقوق الإنسان.

5- التشهير بالقضية الجزائرية في المحافل الدولية:

تعززت فكرة الحرية والعدالة والديمقراطية لدى "سارتر" ونشرها في الأوساط الشعوب المستضعفة خاصة أنها شهدت العنف والتعذيب على مصراعيه، مما استدعاه فكره للولوج إلى المحافل الدولية التي تساند القضايا التحررية خاصة تلك التي أبدت مساندتها للقضية الجزائرية على سبيل المثال دولة كوبا التي أعلن فيها "سارتر" عن موقفه المؤيد للثورة الجزائرية في لقاء خاص جمعه مع الرئيس "فيدال كاسترو"، والأمر الإيجابي لم يتوقف عند هذا الحد، بل كان من مدعمين الأقوياء لشبكة السرية التي أسسها "جونسون" بعلن فكري ونضالي أدى به إلى محاولة اغتياله في عقم داره بعد إن اكتشف أمره "ومع بداية الستينات وتحديدًا سنة 1960 وهي محاكمة الشبكة السرية لجونسون من قبل المحكمة العسكرية التي دامت حوالي الشهر، فاجأ سارتر المحكمة بإرسال رسالة يؤكد فيها تضامنه الكلي مع جونسون وقد تمت قراءتها في المحكمة وقد جاء فيها: "لا أظن أنه يوجد في هذا المجال مهام شريفة ومهام شريفة وسوقية غير شريفة أو نشاطات مخصصة للمثقفين وأخرى غير جديرة بهم" (سارتر، د.ط، د.ت، 142). لذا على كل مثقف شريف المبادئ أن يساند هذه القضية سواء فكريا أو سياسيا أو أدبيا أو ماديا ولهذا نجد "سارتر" يقول: إذا طلب مني جونسون حمل حقائب أو إيواء مناضلين جزائريين بحيث أقوم بهذه المهمة بغير أن أعرض حياتكم للخطر، فسأقوم بذلك دون تردد ولهذا أعتقد أن هذه الأشياء يجب أن تقال: ذلك أن الوقت قد حان إذ يجب على كل شخص أن يتحمل مسؤوليته. (Janson 1964, p217)،

إن مساندة "سارتر" لشبكة "جونسون" السرية ومساعدته لها جعله شخصية يحسب لها ألف حساب خاصة عندما شارك مع المناضلين الجزائريين في مظاهرة سلمية تنديدا بالقمع والتقتيل الجماعي الذي مورس على العمال الجزائريين المتظاهرين في باريس بتاريخ 17 أكتوبر سنة 1961.

اتبع "سارتر" القضية الجزائرية وكفاح شعبها الذي حارب بكل قوته الإستعمار من أجل الانتصار ونيل الحرية واسترجاع الهوية الوطنية، وبعد الإعلان عن وقف إطلاق النار بمارس 1962 كتب مقال بعنوان "المشاة النائمون" *les somnambules*، والذي خصه بالحديث عن مدى طغيان واستبداد وصعوبة تحقيق الحرية والديمقراطية والعدالة في ظل الأنظمة الديكتاتورية المتسلطة، وقد جاء فيه: "ينبغي القول إننا نلاحق وهم السعادة، فمئذ سبع سنوات تجسد فرنسا صورة كلب مسعور يجر قدرا بذيله، ويزداد هلعاً يوماً بعد يوم نتيجة ما يحدثه بذاته من صخب وضجيج، لا أحد ينكر اليوم أننا توخينا تخريب وتجويع وتقتيل شعب مغلوب على أمره كي نركعه، لكنه بقي صامداً لكن بأي ثمن (Sartre 1962, p161, J.-P.).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المساندة من طرف النخبة المثقفة الفرنسية وموقفها الإيجابي من هذه القضية تؤخذ بعين الاعتبار، لأنها بدعمها ومساعدتها للشعب الجزائري المضطهد كلفها الكثير من طرف حكومتهم، حيث واجهوا بذلك جلّ المشاكل والأضرار، وقد كتبت جريدة الصباح التونسية عن معاناتهم وصرّحت في مقال صدر عنها: "تحمل المفكرون الفرنسيون مسؤولياتهم اتجاه ضمائرهم الحية." (الصباح)، الكثير من التهم والأزمات من أجل أن يعم السلام والحرية في الشعوب المستضعفة.

خاتمة :

نخلص في هذه الدراسة البحثية بأن الثورة الجزائرية شهدت دعماً محلياً وعالمياً من قبل المثقفين الفرنسيين الذين كانوا أحد الركائز السياسية في مناصرة قضية الشعب الجزائري، ولعل الفيلسوف "جون بول سارتر" أكبر دليل على ذلك. ومن هنا نستخلص مجموعة من النتائج توصل إليها البحث:

- مساندة النخبة المثقفة الفرنسية للشعب الجزائري وقضيته التحررية وتقديم الدعم اللوجستيكي له.
- تعاطف سارتر مع القضية الجزائرية ووعيه الدائم بأن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الشرعي للثورة المجيدة.
- دفاع سارتر عن مبدأ الحرية لأنها اعتبرها من المبادئ الحاضرة في كل التجارب الإنسانية، والذي سعى من خلالها إلى الوقوف بجانب الشعوب المستضعفة لنيلها.

المصادر والمراجع

1. بتقة، سليم. (2015). مقال حول الثورة الجزائرية في كتابات المثقفين الفرنسيين - سارتر نموذجاً. مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، العدد 11.
2. بزيان، سعدي. (2002). جرائم فرنسا بالجزائر. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر.
3. بوصفصاف، عبد الكريم. (2003). القيم الفكرية والإنسانية للثورة التحريرية الجزائرية. 1954-1962 الجزائر: ج 1 منشورات مخبر الدراسات التاريخية، جامعة قسنطينة.
4. الشريف، ولد محمد حسين. (2010). من المقاومة إلى الحرب من أجل الإستقلال، 1830-1962 الجزائر: دار القصة.
5. عبد المجيد، عمراني. (د.ت). النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية. 1954-1962 باتنة: دار الشهاب.
6. المصري، سارة. (2023, 06 23). مقال حول جان بول سارتر.. الفيلسوف الفرنسي الذي كره بلاده ورفض استعمار الجزائر . WWW.ALJAZEERA.NET.
7. جوليقي، ريجيس. (1988). المذاهب الوجودية، تر: فؤاد كامل. بيروت، لبنان: دار الآداب، ط 1.
8. جون بول، سارتر. (1975). عارنا في الجزائر، تر: عايدة وسهير إدريس. بيروت، دط: دار الآداب.
9. جون بول، سارتر. (2009). الكينونة والعدم، تر: نقولا متيني، المنظمة العربية للترجمة. بيروت، لبنان، ط 1: مركز دراسات الوحدة العربية.
10. جون بول، سارتر. (1966). المادية والثورة، تر: عبد الفتاح الديدي. بيروت، ط 2: منشورات دار الآداب.
11. جون بول، سارتر. (1962). معذبو الأرض، تر: سهيل إدريس. بيروت، لبنان: مجلة الآداب، ع 2.
12. حيفري، عبد الحميد. (2007). فرانز فانون بعض ملامح الشخصية الجزائرية، الجزائر عاصمة المقاومة. الجزائر.
13. خطاب، رشيد. (2013). الأصدقاء والخواوة، الدعم العالمي لثورة التحرير الوطنية الجزائرية قاموس بيبولوجرافي، ترجمة: مصطفى ماضي. الجزائر: دار الكتاب.
14. شعبان، ايدو. شبكات دعم الثورة الجزائرية في أوروبا الغربية (1957-1962) أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. سيدي بلعباس: جامعة جيلالي ليايس.
15. عمراني، عبد الحميد. (د.ط، د.ت) جان بول سارتر والثورة الجزائرية. القاهرة: مكتبة مدبولي.
16. فريدة، غيرة. (1998). فلسفة الثورة عند سارتر. الجزائر: مجلة التواصل، عدد 3.
17. لوصيف، موسى. (2015) مقال حول هنري علاق والثورة الجزائرية: النضال والمواقف. قسنطينة: مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السادس.
18. مزيان، سعيد. (s.d.). مقال حول رونييه فوتيه السينائي الفرنسي الذي خدم الثورة الجزائرية. مجلة بوزريعة، الجزائر.
19. مصطفى، بساطي. (2014). العدد 7373، وفاة صديقة الثورة الجزائرية إيفلين سفير لافاليت. جريدة الخبر اليومي.
20. مصطفى، عتيقة. (2013). مقال حول فرانسيس جونسون من الفلسفة الوجودية إلى مناصرة الثورة الجزائرية دراسة مقارنة حول موقف النخبة المثقفة الفرنسية من الثورة الجزائرية.
21. مقلاتي، عبد الله. (2010). المثقفون الفرنسيون والثورة الجزائرية: فرانسيس جونسون أمودجا. مجلة المصادر المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، العدد 21.
22. منغور، أحمد. (2012). الرأي العام الفرنسي وعلاقته بالجزائر خلال السنوات الأولى من الثورة التحريرية. الجزائر: دار تنوير للنشر.
23. يعقوبي، محمود. (1998). معجم الفلاسفة. الجزائر، ط 2: الميزان للنشر والتوزيع.
24. الصادرة، الجريدة. (1961-10-01).
25. الصباح، جريدة، أرشيف المعهد الأعلى للحركة الوطنية منوية. تونس.
26. Harbi, M. (octobre-décembre 1990). Une conscience libre. Paris: Les Tempsmodernes.
27. Janson, F. (1964). Sartre dans sa vie, le seuil. Paris.

28. Mohammed, H. (2001). Une vie debout mémoires politiques- tom 1: 1945-1962--. Paris: édition la découverte.
29. Sartre. (1956). le colonialisme est un système.
30. sartre, j. p. (1958). Lettre à jean paul sartre.Vérité pour.n° 1.
31. Sartre, J.-P. (1962). somnambules, L, Les temps modernes,.